



ATLANTIC COUNCIL

EgyptSource

RAFIK HARIRI CENTER FOR THE MIDDLE EAST

أحمد ناجي

Ahmed Naje
February 11, 2013

البلاك بلوك أو سمك السالمون يسبح ضد التيار في نهر الفوضى

كنت جالساً في مقهى "زهرة استراند" الواقع على بعد ٤٠٠ متر من ميدان التحرير. أثناء طريقي إلى هناك شاهدت المتظاهرين يستولون على واحدة من مدرعات الشرطة ويقودونها إلى وسط الميدان حيث احتفلوا لدقائق بغنيمة المعركة ثم أشعلوا النار فيها. جلست على مقهى استراند في انتظار صديقي الذي كان يحضر إحدى اجتماعات السياسية في حزبه اليساري.

وصل صديقي حاملاً في يده نسخة من منشور داخلي للحزب حمل مقالين تعبران عن طبيعة النقاش الذي يشغل الحزب ويدور حول ما إذا كان على الحزب والحركات الثورية الانسحاب من جبهة الإنقاذ لأنها تضم الفلول، أم تكوين تحالف آخر مع الأحزاب والحركات الثورية داخل الجبهة. بينما كنا نناقش بعقلانية كلا الموقفين وآفاق المستقبل والحلول وتبادل حديثاً نخبويًا عميقاً، عبرت مظاهرة ضخمة الشارع أمامنا.

كانت الساعة تقريباً الواحدة بعد منتصف الليل والجو بارد لكن المظاهرة أو المسيرة كانت تسير في شارع تحرير وتمتد حتى مستوى النظر خارجة من ميدان التحرير، الهتافات كلها ضد مرسي والإخوان.

مشيت مع المظاهرة في محاولة لفهم أسباب الخروج من التحرير سألت أحدهم :

-أنتوا رايعين فين يا مان؟

فرد بحماسة ثورية غير مفهومة "مبنى المحافظة".

اندهشت من الإجابة، في العادة تتوجه المظاهرات فقط في المحافظات الاقليمية خارج القاهرة إلى مبانى المحافظات باعتبارها تمثل "السلطة" التي يتمرد عليها الجماهير، لكن في القاهرة من غير المبرر التوجه إلى مبنى المحافظة إذا كان بإمكانك التوجه للقصر الرئاسي أو مبنى البرلمان.

اندهشت أكثر لأن مبنى محافظة القاهرة يقع على بعد ٢٠٠ متر من قصر عابدين الرئاسي وحيث أن المظاهرة كانت تهتف بسقوط مرسي فلم أفهم لماذا توجهت إلى مبنى المحافظة وليس إلى قصر عابدين، مشيت مع المظاهرة وأنا لا أعرف لماذا وإلى أين نسير، لاحظت أن هناك بيان مكتوب بخط صغير على نصف صفحة يتم توزيعه بكثافة غير عادية في المظاهرة، الجميع كان يتبادلته ويقراه باهتمام، لم أرى حتى أي أحد يلقيه على الأرض استأذنت أحدهم في الاطلاع عليه فأعطاني أياه فرحاً فخوراً.

كان البيان القصير ينادى بسقوط الاخوان، والسبب حسبما يدعى كاتبوا البيان أن السفارة الأمريكية في القاهرة صرحت لجريدة "معاريف" الإسرائيلية بأن أمريكا تدعم الاخوان لأنهم يرغبون في عودة اليهود في مصر وسيساعدون في إقامة الحلم اليهودي بدولة إسرائيل من نهر الفرات إلى نهر النيل، والدليل على ذلك تصريحات عصام العريان القيادي الإخواني الأخيرة. وأن الاخوان سيسعون إلى تدهور الأوضاع في مصر لكي يضرب الفقر البلاد حتى يصل الأمر إلى أن المصريين يتوسلون من أجل عودة اليهود لإنقاذهم من الفقر، واختتم البيان مؤكداً على أن السفارة أضافت "أن المصريين يتعاركون كل يوم مع بعضهم البعض ولا يستحمون، على العكس من اليهود الذين يحبون بعضهم البعض".

أهلاً بكم في قاع الشعبوية المصرية.

لم أكن في حاجة لمراجعة الانترنت للتأكد من كذب وتلفيق التصريحات، لكن اندهشت أكثر من العقلية التأمريه التي يبدو أنها ضاربه بجذورها في كل التيارات السياسية المصرية.

قديماً، وحتى الآن كانت التيارات الإسلامية هي الرائدة في مجال الاشاعات والمبالغات التي تدعم نظرية المؤامرة من الايمان المطلق ببرتوكولات حكماء صهيون حتى الثقة العمياء بأن ١١ سبتمبر خدعه دبرها الأمريكان لمحاربة الإسلام، لكن الأمر لم يعد قاصراً على حركات الإسلام السياسي فحتى المظاهرات التي يتم وصفها بالمعارضة أو المعبرة عن مدنية الدولة تجد فيها مساحات واسعة لمثل هذه الأفكار والأساطير التي تعمل بمثابة الوقود المغذي لاستمرار حالة التآجج والحنق الشعبي.

لكن وبينما يتشبع الميدان والشوارع بأساطير مثل هذا، نجد البرادعي وجبهة الإنقاذ تكرر مراراً رفضها للحوار، وحينما تأتي الإشارات من الاتحاد الأوروبي وأمريكا بأن على المعارضة اللجوء للحوار والبعد عن الحشد في الشارع يذهب البرادعي للتحالف مع أقسى اليمين (التيار السلفي) ويقبل الحوار بل ويدين العنف من المجموعات الشبابية دون إدانة أو ذكرى لعنف أو محاسبة الشرطة التي قتلت في ثلاثة أيام أكثر من خمسين شخصاً منهم أطفال ومعاقين دون تقديم أي عسكري أو ضابط شرطة من القتلة للمحاكمة حتى الآن.

في وسط ضيق الأفق لدى النخبة السياسية المعارضة وانحائها المتكرر أمام الإشارات التي تأتي من الدول الغربية وابتعادها عن ممارسة أي دور تنظمي لحركة الجماهير في ميدان التحرير على الأقل وترك المتظاهرين من الشباب والشابات فريسة لعمليات الاغتصاب والتحرش والبلطجة، من الطبيعي أن تظهر حلقات وتيارات مثل "البلاك بلوك" تجد في العنف وفي استهداف مصالح السلطة الاقتصادية هدفاً ونصراً لها، خصوصاً مع سيطرة العجائز والجمائم البيضاء المخوفة على المشهد السياسي في المعارضة المدنية.

لكن المؤسف هو مدى الانحطاط الذي وصلت إليه النخبة السياسية المدنية وعلى رأسها البرادعي وحمد بن صباحي، بحيث يذهبون للجلوس مع ممثلين الاخوان والتيارات السلفية وشيخ الأزهر ليصدروا بياناً يتعهدون فيه بما يسمونه "برفع الغطاء السياسي عن أي مجموعات تلجأ للعنف" وكأن من المفترض على هؤلاء الشباب أن يموتوا في صمت مع ابتسامه بيد رصاص وزارة داخلية مرسى، وذلك كله مقابل إعادة تشكيل الدوائر الانتخابية.